بيت يسوع الملكي

« كل واحد كصورة أولاد ملك »

(قضاة٨:١٨)

للدكتور تالمدج

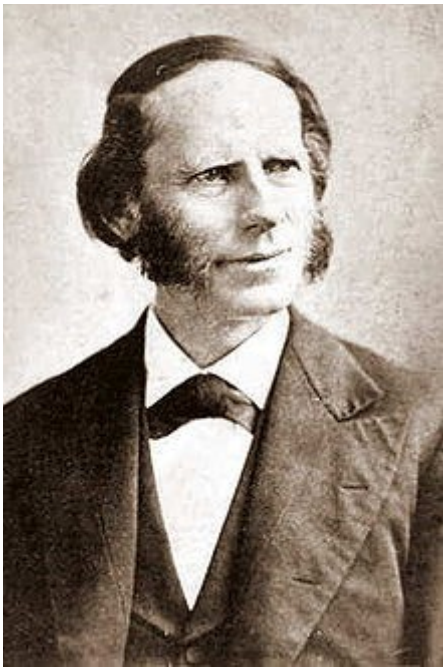

Thomas De Witt Talmage (January 7, 1832 – April 12, 1902)

خرج زبح وصلمناع للقتال ، فلما رجعا سئلا عن الناس الذين رأياهم فأجابا أن طلعتهم تبعث في النفس الهيبة اذا ما طلع أصحاب العروش لأن كل واحد كصورة أولاد ملك . واليوم أقف أمام كثيرين ممن لهم هذه الهيبة . وفي الواقع هم اولاد وبنات الرب القدير ، ومع أنهم في السبي الآن الا انهم سيرتقون العرش يوما ما . توجد أسماء وعائلات ترمز للثروة أو الوطنية أو الذكاء . واشنطون رمز الوطنية ، وبيت مديشي يرمز الى الفن ، وبيت روتشيلد يرمز الى المال ، وبيت هيسبرج في النمسا وستيوارت في انجلترا وبوربون في فرنسا ترمز الى الملك والسيادة .

ولكني أدلكم اليوم على عائلة أقدر وأغنى وأعرق مجدا ، « بيت يسوع الملكي » ، « الذي منه تسمى كل عشيرة في السموات وعلى الأرض »، فقرابتنا هي قرابة الدم بالصليب ، وكل واحد منا اين ملك .

أولا : أتكلم عن اسم عائلتنا :

انك اذا تطلعت الى نبيل جري في عروقه دم النبل او الشهرة في القرن السابق فانك تنظر اليه بعين الاجلال والاعتبار ، فاسم فاتح أو ملك أو أمير في عائلة يخلع على اسمها عظمة ومجدا . ونحن في سلسلة نسبنا فاتح وملك . الا ترى نجم المشرق يوقظ بلمعانه الأوركسترا الأبدية وهي تعزف ببشارة مولده ! من هناك ابتدأ يخضع الممالك بأسرها ، ليس ليذلها تحت رجليه بل ليرفعها ويكرمها. لقد رآه راكبا على فرس أبيض . وحينما يرجع لا يأتي بالاسرى مربوطين إلى عجلات مركبته أو في أقفاص من حديد ، لكني اسمع وقع حوافر خيله البيضاء تقودهم إلى أبواب النصر .

ان اسم عائلتنا يستمد عظمته من النجم الذي أعلن مجيئه ، والحربة التي طعنته ، والاكليل المضفور على جبينه . ويجمع شذا عطوره من اللبان الذي قدم له في مهده ، والزنابق التي نشرت أريجها في عظاته ، وقارورة الناردين التي انكسرت عند رجليه . فهو المعزى في بيت عنيا . ورب القيامة في نابين. وطبيب العيون الخارق للطبيعة في بيت صيدا . مخلص عالم ونبع أفراح عالم آخر . العاصفة عبسته، واشراق الشمس ابتسامته ، وصبح الربيع انفاسه، والزوبعة طبعة قدمه ، والرعد همسات صوته ، والأقيانوس قطرة على طرف اصبعه ، والسماء شرارة من حضن محبته ، والأبدية طرفة عينه ، والكون الغبار الثائر من عجلات مركبته . له قوة تشفى القلب الكسير ، ومقدرة ليسكت العاصفة ، وسلطان ليغرق دنيا بأسرها أو يغمر اللانهائية بمجده . فأي اسم بين العائلات يفخر بشخصية لها ذلك الجلال ؟.

فمن ثم انشـروا العلم عاليـا ، واحملـوا شـعار عائلتنـا يخفـق في جـو الـربى والتلال . العائلات العريقة تطبع شـعارها على ثيابهـا او على ابـواب عرباتهـا او خوذاتهـا حينمـا يخرج رجالها للقتال ، أو على راياتهم وبنودهم . وكثيرا ما يكون هذا الرمز على هيئة أسد أو تنين أو نسر، ولكن شعارنا نحن يلبس فوق القلب تماما وهو مكون من صـليب وقف تحته حمل وطارت حمامة فوقه . أمجد شـعار ! وأهم درع ! في كـل موقعـة لابـد لي من رفعـه عاليـا خفاقـا . واذا مـا سـقطت في حومـة الـوغى لفـوني في ذلـك العلم المسيحي القديم ودعوا الشعار يلامس قلبي ليعرف العـالم بأسره أن عينـي كـانت على حمامـة الروح ، وحياتي ملتصقـة بالصليب ، وكياني يحتمى بالملاذ الأعلى . حمـل الله الذي يرفع خطية العـالم

ثانيا : أتكلم عن آلام العائلة :

اذا حلت بفرد من أفراد العائلة ملمة من ملمات الحياة فان العائلة جميعها تشعر بهذه اللمة . جرت العادة في الجنائز أنه بعد دفن الجثة يأتى أقـارب المتـوفى الى حافـة القبر لينظـروا آخـر نظـرة على عزيـزهم . الاقربـون أولا ثم من يليهم . هكـذا حينمـا يهجم الحزن أو يحل الألم بعضو من العائلـة فانـه يحـل بـالجميع لأن حـزن الواحـد هـو حـزن الكل . جماعة يمسكون بأيدى بعضهم البعض ويلتفـون حـول بطاريـة كهربائيـة ويلمس الشخصـان المتطرفـان البطاريـة فـاذا كـل الـدائرة تشـعر بهـزة . وهكـذا بحكم الصـلة الأبوية أو البنوية نقف قريبين بعضنا من بعض فاذا ما وضع الألم بطاريتـه أحس الكـل بالهزة.

وهكذا الحال في العائلـة المسيحية الكبيرة ، حـزن الواحـد هـو حـزن الكـل . أمضـطهد واحد ؟ الكل مضطهدون . أواحد المت به خسـارة ؟ الكـل يقاسـون الألم . أمجـرب أحـد بفقد عزيز ؟ الكـل مجربـون . فـان كنت تفـرح شـامتا في بـؤس غيـرك فـأنت لسـت من الخراف ولكنك من الجداء وباشق الخطية حط على نفسك .

ثالثا : نتكلم عن أملاك العائلة :

اذا مات عميد عائلة غنية اجتمع الأقارب ليسمعوا وصيته ، ليعلموا كم من الثروة آل بنيه وبناته وكم خصص لوجوه الخير . وربنا يسوع الذي مات عنا نسمع ونحن هنا اليوم وصيته وهو يقول: « سلامى اعطيكم »، وبواسطة الرسول يقول : « الكل لكم ». ماذا ! « كل شي »؟ هذا العالم والعالم الآخر ؟

في العائلات المشهورة تعلق الصور القديمة على الجدران فيحتفظ بها النسل من جيل إلى جيل ، لذلك أتطلع الى كل محاسن العالم الطبيعي كصورة أثرية لعائلتنا المالكة .. الصبح يبزغ من المشرق فيرتقي الضباب من تل الى تل ويتسلق من جبل الى جبل حتى يغيب في الجو . الغابات ملانة من رفرفة وزقزقة وتغريد . الطير في حفيف أجنحته والشجر في رقص أوراقه تصفق حبورا . وراضعات الشهد تغني حائمة على الجذوع ، وذوات المناقر على الايك والغصون والعصافير تتنقل من شجرة الى شجرة ، وأغنية القُبْرة[1] في الجو الصبوح تبعث البهجة الى قلبك وتشعرك بالغبطة .

ـ الشمس تضرم نارها بين حصون السحاب ، وتشتعل بسناها فوق الأبراج والقباب ، ثم تنحنى على الزنابق البيضاء لتكسبها جمالا ، وتخط بريشتها فتلون الورد بحمرته ، والبنفسج بلونه الجذاب وتلبسه القطيفة أزهى الثياب . قل لي أي قوة تقف أمام الشمس لتقاومها ؟ نور للسائح الذي يمخر عباب البحر ونور لراعي يتولى حراسة القطعان في المراعي ونور للفقير الذي انطفأ مصباحه فلا تعود ذبالته نبعث ضوءها ونور للمنحنى والمتواضع ونور العين التي كَلَّ نظرها ، ومصباح الدماغ المحترق ، والأسير العاتي ونور لجبين الطفولة الغضة ، ولرؤيا الشيخ الباهتة ! نور لتاج الملكة ، ولإبرة الخياطة ، ليكن نور. صبح من ذلك ؟ صبحي وصبحك. أبونا قد وهبنا هذه الصورة وعلقها في براويز النار . إنها شعار عائلتنا.

هكذا الليل . الوقت الآن في فلك البدر . الضباب يلمع من شاطىء إلى شاطىء وتراه كمرآة متكسرة . والأقيانوس رهن نظرات القمر يأتي زاخرا بمداه لاهثا على الشاطيء

يخلط زبد الموج بالنار. الفقير يبارك الله على حزمه من هذا النور المجاني ترمى به العناية من خلال النافذة إلى كوخه . والمريض يراه فتخطر على قلبه ذكريات النور على الشاطيء الآخر ليضع حدا للبؤس والشقاء . فإذا ما كانت الشمس كأغنية جميلة انبعثت من فرق نحاسية بقوة فجلجل رنينها في السماء والأرض ، فان القمر بصوته الحنون يرسل نبراته من تحت عرش الله بنغمات رخيمة لينة ، في حين تصغى الكواكب ويرهف البحر أذنيه . بل ليس من أم يتدفق الحنان من قلبها نحو ولدها أكثر عناية من حاكم الليل وهو سهران على الأرض التعبانة المريضة القلب المسهدة[2] . ولمن هذا السجاف[3] من فحمة الليل ؟ إنها ملك عائلتنا . لنا مجد الربيع وبلورات الثلج ، ومرجان الشواطيء ، وتضوع[4] البساتين ، وأنغام الهواء انك لا تستطيع أن تلم بأطراف ضياع واسعة في جولة واحدة. بل تلزمك عدة جولات . فثروة بيت يسوع المالك هائلة جدا حتى لتحتاج إلى عدة جولات لتكون عندك فكرة عن سعتها . ولتكن أول جولة حول الأرض بوديانها وحقولها ، وأنعامها الرابضة في مراعيها، وجبالها الشماء ، وكنوزها الكامنة في بطونها ، وتاج الثلوج تطرحه عند أقدام عواصف الألب، وكل البحيرات والجزائر والقارات هي لنا.

وفي الجولة الثانية طف بين شوارع مصابيح السماء وانظر الأكوان الممتدة من كل جانب ، فهي تضيء لنا ، ولنا ترنمت عند ولادة المخلص ، ولنا تدور في بروجها ، وبمشاعل لهيبها تضيف الى أبهة نصرتنا في ذلك اليوم الذي من أجله جعلت الأيام كلها.

وفي الجولة الثالثة طف حول المدينة الأبدية . فإذا ما قاربت شواطئها الذهبية فأرهف سمعك إلى اندفاع المركبات ودقات اجراس منارتها يوم أعراسها ، وقد دقت أجراس السماء الثانية عشرة ، لأن الوقت بلغ سمت الظهيرة . تطلع الى الجمال الذي لا تذبل زهرته والعيون التي لا تبتل بدموع البكاء ، والى الموكب السائر في سبيل المجد بلا توقف ، والى الأشجار التي لا تذوى[5] أوراقها ، والى الأسوار التي لا يدنو منها الغزاة ، والى الشمس التي لا تغرب، حتى لا تقوى أبصارنا على إطالة التطلع فنغطي عيوننا

من بهاء المجد ونصرخ :« ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه ». وعندما تقوم أمواج المجد تتدافع نتراجع ونثبت أقدامنا جيدا فلا تكتسحنا بل تغرقنا في دوامات الفرح والسبح والنصر .

ثم ماذا تظن في ثروة العائلة ؟

يعد شرفاً كبيراً أن تتزوج من عائلة ثرية . الرب عريس الأرض والسماء يقدم إليك قلبه ويده، يخطب ود قلبك بكلام النشيد: « قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالى). فإذا ما وضع في أصبعك خاتم خطبة محبته زودك بكل غنى الأرض وكرامة السماء .

ثم أكلمكم عن قصر العائلة وقد كان ممكنا أن ندرج الكلام عن هذا الأمر في القسم السالف ولكن آثرنا أن نفرد له مكانا وحده .

تعودت كل عائلة أن ترجع إلى مقر سكنها ـ ذلك المكان الذي يجمع أعذب الذكريات في النفوس . ألا تذكر بيتك في الريف حيث نشأت ، وجلوسك على عتبة الباب ؟ وتعاودك ذكريات قطرات المطر تسح على السطح ؟ وفتحة الباب ، بل دخولك مخزن الحنطة . وغطسك في جدول القرية ؟ وقطفك التفاح من الحديقة ، وقطعك الأعشاب النابتة حول شجرة البندق ؟ كل هذه الذكريات تبعث في نفسك الغبطة . وها أنا الآن أذكرك ببيتك الأبدى :« في بيت ابي منازل كثيرة ». أجل، أن جميع مساكن النبلاء والأمراء والملوك ليست شيئا أذا تم قياسها بقصرنا المعد لنا. يد ربى يسوع هي التي رفعت الأعمدة ، وفتحت الأبواب ، وغرست البساتين . الأبرار من كل الأجيال والملائكة يتمشون في تلك الطرقات الذهبية . أن أفقر الفقراء سيصبح في ذلك المكان من أصحاب الملايين . بل أحقرهم سيصير ملكا ، وأخفت كلمة تضحى نشيدا ، وأقصر عمر سيغدو أبدياً . هنا في حدائق الأرض يغطون الزهور في دور الإنبات لكن سوسن الوادي لا يحتاج إلى غطاء العواصف ، وفي بساتين الله الفسيحة تزهر أنواع الزهور العبقة فتأتي السماء للتفرج عليها ، وعطورها تفيح كما لو هز الكاروبيم ألف مجمرة حول العرش .

نحن لم نحظ بأمجاد ذلك المكان للآن لأننا في أرض غربتنا لكن أبي منتظر رجوعي إلى البيت . وهناك لى أخوة وأخوات . وعندي في الكتاب خطابات من هناك تخبرني عن مجد تلك الربوع . اذن غير مهم إن كنت مريضا أو فقيرا ، ولست أعبأ بالعالم يحبني أم يكرهني، أو هل أسافر برا أو بحرا طالما أني متيقن أني في النهاية سأرفع عيني إلى قصر العائلة . أنه ليس بناء واهيا بني بعجلة فصار متداعيا ، لا بل انه قصر قديم ثابت الأركان قوي البنيان ، يكسو أسواره لبلاب الأجيال المتعاقبة ووضعت عند مدخله زهريات القرون الأبدية .

وقصر العائلة يرمز إلى التلاقي . هنا بعض أفراد العائلة متفرقون كل واحد في مكانه . الأولاد تزوجوا وخرجوا . وقد لا نحظى بالتلاقي إلا كل سنة ثم لا نلبث أن نتفرق مرة أخرى. لكن في قصر العائلة القديم في السماء لا يمكننا وصف المجد الذي يخطر على قلوبنا في يوم التلاقي . لقد مضت مدة منذ افترقتم عن أحبائكم عند باب القبر . هناك ستكون نعمى ومريم ومرثا وشارلي وليزة وكل أعزاء البيت : وهناك لا ترى أثرا للاصفرار على وجوههم كما رأيتهم آخر مرة ، ولكن عيونهم ستكون لامعة بمجد السماء ووجناتهم متوردة بنفخ الخلود .

يا له من تصافح ! وتعانق وقبلات هناك ! دموع الفرح تنسكب من مآقينا[6] ، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم ». تقول كنت أظن أنه لا دموع في السماء . أجل ، أنها ليست دموع الحزن أو الخيبة ، ولكنها دموع تنسكب من قلب فاض بالتعزية . وكأني بالمسيح يقول: « ماذا يا ابن المجد ؟ أكثيرة عليك تعزياتي ؟ هل كدت تهوى تحت أمواج فرح التلاقي ؟ هيا تعال فأساعدك ». وبذراعه يطوقنا وبالذراع الأخرى يطوق حبيبا لنا ويرفعنا إلى اليوبيل الأبدي .

1- **قُبَّرَةٌ :** عُصْفُورَةٌ مِنْ فَصِيلَةِ الْقُبَّرِيَّاتِ، مِنْ رُتْبَةِ الْعُصْفُورِيَّاتِ، تَكْسُو رِيشَهَا سُمْرَةٌ، وَمِنْهَا نَوْعٌ يَتَمَيَّزُ بِبُقْعَةٍ سَوْدَاءَ عَلَى الصَّدْرِ، وَعَلَى رَأْسِهَا رِيشٌ مُنْتَصِبٌ، شَدِيدَةُ الْحَذَرِ، وَتُعْرَفُ بِتَغْرِيدِهَا الدَّائِمِ فِي الْحُقُولِ

2- المسهدة : المصابة بالأرق والتعب

3- السجاف : الستر من خوف الليل

4- تضوع : انتشار رائحة وتفتح زهور البساتين

5- تذوي : تذبل وتجف

6- مآقينا: عيوننا

عظة بعنوان بيت يسوع الملكي – تنسيق وترتيب وتفسير الكلمات الصعبة الاخ/ صفوت زكي سمعان

الرب يستخدم هذه العظة لمجد اسمه.